عنوان البحث: زربية قرقور بمدينة سطيف وآفاقها المستقبلية

أ/ حميدة ماجور

جامعة قسنطينة –2

madjourhamida@yahoo.fr

تاريخ الارسال: 2019/02/08 تاريخ القبول: 2019/06/17 تاريخ النشر: 2019/09/15

الملخص:

ارتأينا في هذا المقال أن نتحدث عن أحد أنواع الزرابي في الجزائر آل وهي زربية قرقور التي تعد من مظاهر الترف المخصصة للطبقة الميسورة، فنالت إعجابا واسعا تجاوزت حدود منطقتها، سميت بذلك نسبة إلى مكان صنعها القريب من مدينة حمام قرقور الواقعة شمال سطيف، والزربية ذات شكل مستطيل وأرضيتها حمراء اللون تتميز بوجود محراب مركزي محاط بعدة إطارات زخرفية.

كما اتسمت بتعدد زخارفها الهندسية والنباتية التي طغت بدرجة أكبر على المساحة إما منفردة أو ممزوجة مع أنواع أخرى من الزخارف تحمل لمسات محلية تتعدى قيمتها الجمالية إلى قيم أكثر عمقا ذات دلالات رمزية مرتبطة بالحياة اليومية لسكان الريف، وهذا النوع من الزرابي أصبح معروف لدى رقامي القرقور عن طريق أحد المعلمين الذين جاءوا مع الجيوش العثمانية ويمكن القول أن زربية القرقور تكتسي أهمية اقتصادية وثقافية كبيرة، فكانت تقدم كضريبة خلال العهد العثماني، وتوجه لتأثيث المنازل كما تفرش في المناسبات والحفلات، وتباع في الأسواق بأثمان مرتفعة، تقدم كهدايا للحكام بتنوع أحجامها فمنها الصغيرة الحجم المخصص للصلاة(سجادة) ومنها الكبيرة الحجم .

الكلمات المفتاحية:النسيج، الزرابي، سطيف، قرقور، عقدة كيرودوس التركية، الزخرفة، سلم الألوان.

ملخص بالغة الانجليزية:

In this article, we are talking about one of the carpet types in Algeria, the Karkour Sarit, which is one of the luxuries of the wealthy class. He gained great admiration beyond the limits of his region.

A rectangular shape with a red mausoleum characterized by a central niche surrounded by several decorative frames, characterized by its many geometric and plant motifs, which dominated the area individually, or in combination with other types of decoration with local touches exceeding their value aesthetic, for deeper values with symbolic connotation The Karkur dancer made known this type of Rugby through a teacher who came with the Ottoman armies.

It can be said that Karkur carpet is of great economic and cultural importance. It was presented as a tax in the Ottoman era. and sold on the market at high prices, offered as a gift to leaders of different sizes of small size for prayer (carpets) and large.

مقدمة:

تعتبر صناعة النسيج من أهم الصناعات التقليدية التي لجأ إليها الإنسان منذ أقدم العصور (أيوب (عبد الرحمان)،2001، ص161)، وتعني كلمة نسيج سريان خيط أوعده خيوط فوق وتحت خيوط متجاورة ومتوازية، والمنسوج عبارة عن جسم مسطح رقيق يتكون من مجموعة خيوط طولية أي رأسية على النول، يطلق عليها اسم السدى تتشابك أو تتقاطع مع خيوط عرضية أي أفقية (عبد العزيز التهامي(عائشة)، 2003، ص10)، وقد تدرج الإنسان في هذه الصناعة من البساطة إلى الإتقان والجودة. في البداية اتخذ ملابسه من ورق الشجر وجلود الحيوانات، ثم اهتدى إلى عمل الصوف، والكتان والقطن والحرير ونسج من هذه الخيوط جميع ما احتاج إليه من ملابس ومفروشات حتى توفر له شيئا من الدفء (مرزوق (محمد عبد العزيز)،1977 ،ص119).يقول ابن خلدون في هذا الشأن "**يحصل الدفء باشتمال المنسوج للوقاية من الحر والبرد لابد لذلك من إلحام الـــغزل حتى يصير ثوبا واحـــدا، وهو النســـــج والحيـاكة**"(ابن خلدون (عبد الرحمان)،1982ص333.)،ومع مرور الزمن بدأ الإنسان ينظر إلى مختلف أدواته نظرة فنية فصبغها بالألوان وأضاف إليها زخارف شتى مستوحاة من الطبيعة،،حتى يضفي عليها نوعا من البهاء ترتاح له العين عند رؤيتها. كل ذلك نابع من معتقداته وأعماقه،(مرزوق (محمد عبد العزيز)،1997 ص119)كما اتخذ الإنسان من المنسوج ضروبا من الألبسة يتزين بها ويودعها من آيات التبرج ما يعلن فيه عن موضعه في إحدى فئات المجتمع.من بينها الزرابي التي تحظى بمكانة عالية ضمن التراث المادي العالمي، فهي تندرج في نطاق المأثور الثقافي الإنساني، الذي ارتبط بحياة الناس والمرأة بصورة خاصة نظرا لما تمثله من قيم رمزية لفترات تاريخية متفاوتة في درجة الرقي والازدهار.

وإذا كانت كل حضارة تمر تترك بصماتها على فنونها وصناعاتها، فالجزائر كغيرها من الدول تملك من الشواهد المادية الباقية ما يدل على الثراء الفني، الذي اختصت به هذه الصناعة، والمنبثق من رحم نظم اجتماعية واقتصادية ينتشر في ربوعها الشاسعة، فعرفت كل منطقة بأسلوبها وزخارفها المميزة في صناعة الزرابي نذكر منها زربية الشلالة، زربية جبل عمور، وزربية القرقور هذه الأخيرة التي سميت نسبة إلى مكان صنعها القريب من مدينة حمـام قرقور الواقعـــة شمال سطيف.

وفي هذا المقال سنتعرف على معنى الزربية وتاريخ نشأتها، ونخص بالحديث تاريخ زربية قرقور، ونشير إلى أهم المواد الأولية والأدوات المستعملة في ذلك إضافة إلى مواد الصباغة كما نتحدث عن خصائص زربية قرقور، وتركيبتها الزخرفية، ونشير في الأخير إلى الآفاق المستقبلية لزربية قرقور، ونختم المقال بأهم النتائج إضافة إلى صور ولوحات توضيحية .

أولا : تاريخ نشأة الزرابي.

1- تعريف الزرابي.

أ-لغة: جاء في قامس لسان العرب لابن منظور في تعريفه للزرابي "**و قيل كل بسط اتكئ عليه ...ومفردها الزربية بفتح الزاي وسكون الراء**"،(ابن منظور (محمد بن مكرم الأنصاري، ص448)،والزربية ما يداس بالأرجل سواء أكان ذو وبر قصير أو ذو عقد ويختلف هذا اللفظ عبر أرجاء العالم العربي فمصطلح الزربية الشائع لدى سكان المغرب الإسلامي(مرزوق (محمد عبد العزيز)،1977ص 121)وقد ورد في القرآن الكريم في سورة الغاشية "...**و نمارق مصفوفة ،و زرابي مبثوثة** "(سورة الغاشية ،الآية 16)وفي تفسير الآية الكريمة أن الزرابي بسط ذات خمل مبثوثة معناها مفروشة.

ب-اصطلاحا: الزرابي هي الأبسطة، وهي كل ما يفرش على الأرض ومفردها بساط وقد ذكر مصطلح البساط في القرآن الكريم في قوله تعالى "**و الله جعل لكم الأرض بساطا** "

وتختلف هذه المصطلحات من منطقة إلى أخرى فتعرف الزرابي الأكثر قدما في الجنوب القسنطيني، والجنوب التونسي بالقطيفة وتنطق كتيفة في منطقتي الحراكتة والنمامشة وبالزلاس في تونس وهي الزربية ذات الأبعاد الصغيرة التي تعرف بالمطرح، وتعرف بجبل عمور بالفراش أو الفراشية كما عرفت بالطنافس في المشرق العربي باستثناء بغداد التي عرفت فيها الزرابي باسم الزويلة، والكلمة فارسية الأصل وهي تعني اللف والطي لأنها تطوى أوتلف عادة عند عدم استعمالها في فصل الصيف فشاع استعمال هذه الكلمة الفارسية للدلالة على الزربية نفسها، وتدخل الطنافس تحت مفهوم الأبسطة، إلا أنها تتميز باحتوائها على خمل يغطي سطحها،(مرزوق (محمد عبد العزيز)،1977ص 121.)،والبسط لها مرادفات كثيرة كالسجاد، وهذه الأخيرة جاءت من السجود عليها، ولما كانت الوظيفة أشرفها في استعمال البسط والطنافس والزرابي فقد استقر الأمر بين الأثريين على استعمال كلمة سجاد(حنفي (عائشة)،عاشوري (ساجية)،ص 9).

2-نشأة الزرابي: إذا كان الإنسان قد عرف الأبسطة منذ العصور القديمة، فإنه لم يهتدي إلى صناعة الزرابي إلا في وقت متأخر نسبيا على تلك العصور، وأقدم مثال على ذلك هي تلك القطع الصغيرة التي عثرت عليها البعثة الألمانية في حفائرها في طرفان بالتركستان الشرقية وقد نسبت هذه القطعة إلى الفترة الممتدة ما بين القرنين الثالث والسادس ميلادي(3-6م) (مرزوق (محمد عبد العزيز)،1997،ص121)،ومن الراجح أن القبائل الرحل هم أول من اهتدى إلى هذا الابتكار، وذلك لأنهم غير مستقرين فطبيعة الحياة التي تحمل الإنسان على التخفيف قدر المستطاع من

الأمتعة دفعت به إلى استعمال صوف حيواناته لتوفر له الدفء المطلوب وكان الحصول على هذا الفراء يعود عليهم بالخسارة الكبيرة لأنهم كانوا في كل مرة يذبحون أغنامهم ليستفيدوا من هذه الصوف، فكانوا يجزونها كلما طال ثم يغسلونها ،ويمشطونها ثم يغزلونها على شكل خيوط يستعملونها في عمل نسيج يشبه جلد الحيوانات في المظهر.

وهكذا ظهرت أول زربية في الوجود –خيوط رأسية معقودة حول خصلة من الصوف مثبتة في مكانها بواسطة خيوط عرضية –فهي في صورتها البدائية ليست أكثر من فراء اصطناعي (مرزوق عبد العزيز،ص12.).

لقد اتفق المؤرخون وخبراء الفنون بأن صناعة الزرابي المعقودة نشأت على أيدي القبائل التركية الرحل في أواسط آسيا خلال القرن التاسع هجري (9هـ) الثالث عشر ميلادي (13م) حيث كان للسلاجقة السيادة على آسيا لصغرى، وأرسى سلاجقة الأناضول الأسس التي قامت عليها صناعة الزرابي ،وانتشرت في العالم الإسلامي، وحوض البحر الأبيض المتوسط ولقد أشاد الرحالة الذين زاروا مملكة السلاجقة حوالي 1270م،ووصفوا زرابي آسيا الصغرى بأنها الأجمل والأرقى في العالم وأشاروا إلى وجود ثروة من الزرابي الجميلة في القصور والمساجد.(أبو الفتوح (كوثر) "،1997،ص ص،222.221.).وكان لأسلوب صناعة الزرابي التركية المبكرة وتوافر الإمكانيات الضخمة من المواد الخام اللازمة للنسيج والصبغ وطريقة العقدة تأثير عظيم على الزرابي الشرقية كلها، وكان الأساس الذي قامت عليه هذه الصناعة فيما بعد(أبو الفتوح(كوثر)،1997ص223)،وخلال القرن العاشر هجري (10)السادس عشر ميلادي (16م) بدأت تظهر بتركيا مراكز صناعة جديدة متل كيرودهس وقولا ولاذق، وغيرها راحت تصدر إنتاجها إلى كل مناطق الإمبراطورية العثمانية، ومنها الجزائر التي كان حكامها يعيشون فترة ازدهار، ورخاء ساعدهم على بناء الدور الفخمة خاصة تلك التي بنيت في فحص المدينة فعملوا على زخرفتها وتأثيثها بالزرابي العثمانية التي كانت تقدم أيضا كهدايا للمساجد والزوايا وأضرحة أو لياء الله الصالحين.(حنفي(عائشة) ، ص9.)

ولقد كان للسجاجيد (زرابي ذات حجم صغير خاصة بالصلاة) التي أدخلت إلى الجزائر أثر واضح في تطور الزربية وإثرائها، والناظر للزرابي المصنوعة بالجزائر شمالا وجنوبا يجدها متأثرة بدرجات متفاوتة سواء من حيث العناصر الزخرفية أو الألوان لاسيما تلك المصنوعة في الجنوب الشرقي (النمامشة الحراكتة)، وفي الشمال الشرقي (قرقور) (حنفي (عائشة)، عاشوري(ساجية)،ص9.).

3–تاريخ زربية القرقور: عرفت منطقة سطيف أهمية صناعة الزرابي خلال القرنين الثاني عشر هجري (12هـ) الثامن عشر ميلادي (18م)،حيث كان ينجزها عددا من المختصين يعملون في منطقة سطيف لصالح عائلات غنية، فكانوا يكررون نماذج محلية قليلة الأهمية تؤكد لنا وجود تقاليد حرفية قديمة، وبالتالي وجود زربية سابقة ذات

زخرفة هندسية قريبة في زخرفتها من زرابي الأطلس بالمغرب الأوسط ،لكن النماذج تتغير بعد حرب القرم، وهذا بعودة محمد بن لخلوفي من المشرق جالبا معه زربية صغيرة من تركيا ،وقد أثارت هذه الأخيرة فضول رقامين من القرقور، وهما "سي صالح "و"محمد السعيد اليحياوي "،فلاحظا أن هذا النوع من الزرابي يفوق الزربية المحلية جمالا ودقة سواء من ناحية طريقة النسج أومن ناحية الزخرفة والألوان ونظرا لبراعتهما في هذا الميدان فقد قاما بنسخها وحاولا الاستفادة منها ماديا، وقد كان من بين هواة النسيج بالمنطقة "بوعزة أمزيان" الذي اقترح على "سي صالح بن العابد" العمل معا والاستفادة ماديا من هذا النوع من الزرابي الذي يبدو أنه سيلقى رواجا(Colvin,(L), p323.)،أما في منطقة زمورة فيقال أن أحد الجنود العثمانيين الذي كان ناسجا في بلده هو الذي علم رقامي المنطقة أسرار صناعة الزرابي الأناضولية، وما يؤكد لنا ذلك هو وجود معسكر للعثمانيين بالقرب من المنطقة. وهذا ما يجعلنا نظن أن هؤلاء الجنود هم الذين روجوا أونشروا نماذج من زرابيهم عبر هذه المنطقة، وبهذا ظهر نوع جديد من الزرابي الجزائرية المعروفة بزرابي القرقور التي رغم أنها نشأت في محيط بربري أي منطقة القبائل الصغرى، إلا أن رقاموها قد تأثروا بزرابي تركيا فأظهروا جلاء غير منتظر ولكنه مع المشرق، وبالتحديد الأناضول يظهر ذلك من خلال الإطار ذو الأفاريز المتعددة الميداليات، المحاريب والجامات (حنفي (عائشة)، 1999-2000 .ص 132.)

1-المواد الأولية وأدوات الصناعة: إذا تحدثنا عن المواد الأولية المستعملة في صناعة الزرابي وهي مواد تتوفر في البيئة المحلية، وتتمثل أساسا في مادة الصوف إضافة إلى شعر الماعز ووبر الجمال، وهما مادتان ثانويتان تضاف إلى الصوف بهدف زيادة متانتها وتستعمل خاصة في نسج حواف الزرابي، أما الأدوات المستعملة فهي بسيطة تقليدية وماتزال تستعمل إلى يومنا هذا ومن أهمها النول العمودي (المنسج).

2-مواد الصباغة: تنوعت مواد الصباغة فمنها النباتية والحيوانية والمعدنية، وتبقى المواد النباتية الأكثر استعمالا نظرا لتوفرها في البيئة المحلية وسهولة تحضيرها. أما عملية الزخرفة فهي تتم عن طريق الغرز المعقودة على الطريقة التركية -عقدة كيرودهس- التي تلف حول خيطين من السداة عقدة بعقدة عكس العقدة الفارسية التي تلف حول خيط واحد من خيوط السدى أو بسلسلة من الحلقات كما هو الحال في صناعة القطيف ويقوم بهذا العمل المرأة والرجل على حد سواء.

3-تقيات صناعة زرابي قرقور: وللتعرف على تقنيات صناعة النسيج المعقود وتحديدا الزرابي قمنا بزيارة للورشة المخصصة لإعادة إحياء زربية لقرقور بولاية سطيف، وكان لنا حوار مع السيدات المتخصصات في هذه الصناعة،وسنحاول توضيح ذلك فيما يلي:

تتم عملية نسج الزرابي وزخرفتها في نفس الوقت؛ بحيث تجلس الناسجة مقابل المنسج حيث تكون السدوة معلقة ومشدودة، فتقوم بالخطوة الأولى وهي تمرير خيط خشن من الصوف لونه هو اللون السائد بالزربية (إذا كان اللون الغالب على الزربية هو اللون الأحمر فإن خيط اللحمة يكون أحمر، وقس على ذلك) ما بين الخيوط الفردية للسداة بداية بالخيط الأول إلى الخيط الأخير، ثم تعود بنفس الخيط الصوفي ولكن هذه المرة ما بين الخيوط الزوجية، وتستمر في هذه العملية حتى يصل العلو من ثلاث إلى خمس سنتيمترات (3-5سم)وبعد هذه الخطوة تبدأ عملية ربط العقد أي عقدة زربية القرقور أوما يسمى بعقدة كيرودوس، حيث تضع ما بين السبابة والإبهام رأس خيط العقدة باللون المطلوب طوله حوالي 5سم،وفي نفس الوقت باليد اليسرى، وبواسطة السبابة والإبهام تمسك الخيطين الأولين من خيوط السداة على بعد عشرين سنتمتر (20سم) من بداية النسيج ،ثم تضع رأس الخيط الممسوك باليد اليمنى خلف خيطي السداة تمرره بعد ذلك إلى أعلى، ثم تقوم بتدوير طرفاه حول هذين الخيطين فتجمعهما وتخرجهما بين الخيطين مكونة بذلك عقدة تنزلها بحركة سريعة إلى الأسفل مع الجذب بقوة دون أن تترك خيطا السداة الممسوكين باليد اليسرى، ثم تشدها بأصبعها قليلا وتقطع أطراف الخيوط بواسطة مقص أو سكين حاد، وتستمر بهذه الطريقة حتى تكون صفا من العقد.(**أنظر الصورة رقم 03**) ترصه باستعمال المشط (لخلالة) حتى لا تفك العقد، وفوق هذا الصف من العقد تمرر خيطين من خيوط اللحمة بنفس الطريقة التي رأيناها قبل بداية وضع العقد وبهذه الطريقة تتحصل الناسجة على زخارف حسب النماذج المعدة مسبقا تسمى بالعينة، وهي عبارة عن نماذج مقسمة إلى مربعات صغيرة يوضع عليها الشكل المراد مع الألوان، والعقد الواجب وضعها كل شكل على حدا،وتقوم المرأة بجمع تلك الأشكال وتركيبها بشكل آخر ينتج عنها أشكال زخرفية جديدة نباتية وهندسية حسب نوع الزخرفة التي تريد تجسيدها على الزربية، فمثلا إذا كان الرسم على العينة يبين ثلاث مربعات سوداء متبوعة بخمسة عشرة زرقاء وتليها ستة برتقالية،فما عليها سوى ربط ثلاث عقد سوداء تليها خمسة عشرة زرقاء، ثم ستة عقدة برتقالية، وهكذا دواليك إلى أن تنهي صفا من العقد، ونفس الشيء بالنسبة للصف الذي يليه إلى أن تكمل نقل كل ما تراه على العينة، وتغطى بذلك كل خيوط السدى بخيوط اللحمة ولا يترك منها جزء ظاهر، إذ تتوقف جودة الزرابي على غناها بالزخارف المتنوعة وكذا عدد العقد وتماسكها فكلما كانت أكثر ازدادت دقة الزخارف وكثافة الزربية، وحتى لا يضيق النسيج في العرض أثناء العمل يتم جذبه خلف المنسج باستعمال مدادين خشبيين "جبابيد" مثبتين مع الجدار بواسطة وتدين، أما المددان الجانبيان يشدانه من الناحية العرضية(عضايد)، وهذا لأن صناعة الزرابي تستلزم أن يشد المنسج بأكثر من الخيوط التي تستعمل في حالات النسيج الرقيق.

عندما تنهي عملية نسج الزربية تقطعها من على المنسج حيث تترك مسافة من خيوط السداة تسمى الأهداب أوما يعرف باللهجة المحلية باسم (زرات /شرابة)، وتربط كل عدد من الخيوط بعضها ببعض لتكوين عقدة واحدة، وهذه الأهداب لها أهمية في المحافظة على الزربية أما جانباها فنجد نوعا من النسيج يسمى الحاشية يتم من خلال تمرير خيط اللحمة بين أربعة خيوط من السداة وترص باستعمال المشط لتعطي نسيجا جيدا يساعد على حفظ عقد الزربية من الجانبين وبذلك تصبح الزربية داخل حواشي من الجانبين تعطيها الكثير من المتانة.

ولاشك أن فن نسج الزرابي من أعمال المرأة بالدرجة الأولى، إلا أن الرجال شاركوا فيه كذلك فمنذ عهود بعيدة وحتى زمن قريب كان الرجال في المغرب العربي بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة ينسجون الزرابي، فالمعلم أو الرقام الذي ينقل أسرار فن الزرابي ويحتفظ بها في ذاكرته فقط، ويتم توريث هذا الفن للأحفاد عن طريق الأجداد وذلك بتدريبهم داخل الأسر فالابن يساعد أباه بضع سنوات ثم شيئا فشيئا يتعلم الأشكال، ويدرك مواضيع التركيبة الزخرفية وعندما استلمت المرأة هذه المهام أي فن الرقم كان واجبا على كل فتاة ناضجة بالغة أن تتقنه بالتدريب مبكرا بدءا بملاحظة الحركات التي تقوم بها أمها وبهذه الطريقة ساهمت المرأة الريفية مساهمة كبيرة في إبقاء هذه التقاليد حية رغم الاختلاط الذي وقع في الأجناس، وظهور عادات وتقاليد غريبة عن المنطقة ،فهي التي تحافظ على هذا الفن طويلا وعلى الاعتقادات القديمة؛ لأن المرأة الريفية هي الأكثر انغلاقا على نفسها وبعدا عن كل ما هو جديد بحكم معيشتها وموقعها ونوعية الحياة التي تعيشها فتكتفي بما تعلمته في محيطها

تجدر الإشارة الى أن المرأة والرجل عملا جنبا إلى جنب فكان يقوم الرجال المعروفين باسم الرقامة بعملية النسيج والزخرفة بمساعدة النساء اللواتي يمررن الحبكة، ويظربنا بالمشط ثم يقوم الرجال بعقد الغرزة على طريقة كيرودس،ومع مرور الزمن ولعدم وجود رقامين بالمنطقة حاليا فقد أصبحت من اختصاص المرأة.

4–خصائص زربية القرقور: حسب المهتمين الذين فحصوا عددا من الزرابي المنسوبة إلى كل من بوعزة أمقران ومحمد اليحياوي ،والسي صالح بن العابد، فقد وجدوها متشابهة إلى حد التطابق، وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل عن سر هذا التشابه ؟ فرغم المهنية المعروفة لدى كل واحد من الرقامين الثلاثة واللمسات الخصوصية التي يمكن لكل واحد منهم أن يتميز بها عن الآخرين، فإنهم حافظوا على الشكل الذي اتفقوا عليه أول مرة قد يدفعنا التفسير إلى القول أن ذلك النوع بكل مميزاته هو النوع المطلوب، وحده لدى العائلات التي ترغب في امتلاك هذه الزربية، مما يدفع بالنساج إلى نسج نفس النموذج (العرض–الطلب)، أو ربما أن كل رقام ساهم بشطر في ايداع هذا النوع من الزرابي، واتفقوا على أن يكون هذا العمل المتكامل يرجع بالفائدة على الجميع (رحايلية (بدر الدين) دت،ص13.)، وقد يرى بعض العلماء من بينهم **Prosper** و **Godon** أنه إذا ما أردنا مقارنة زربية قرقور ذات التأثير المشرقي

مع الزرابي الأخرى فإنها تكون مع زرابي جبل عمور و الأطلس الأوسط ،لكن **Golvin** يرى أنه لا يمكن مقارنة زخرفة هذه الزربية بزرابي جبل عمور مثلما يظن **Godon**، ولا بزخرفة الأطلس الأوسط مثلما يقترح **Prosper** ،ويرى أنه من الأرجح مقارنتها مع القطيف وزخارفه الهندسية المختلفة (من مربعات ،نجوم ،وغيرها ...)، وقد تكون المقارنة أكثر موضوعية ومعقولة وأكثر وضوحا لو أجريناها مع زرابي ومنسوجات المعاضيد نظرا للاتصال الجغرافي الموجود بين القرقور والمعاضيد)، واعتقد أنها أقرب إلى منسوجات المعاضيد.

1-التركيبة الزخرفية: أما بخصوص التركيبة الزخرفية لزرابي القرقور فيمكن القول أن الرقام قد أبقى على الطراز النموذجي ذي الطراز الأناضولي (الكلاسيكي) بكل دقة، وأدخل عليه بعض التعديلات التي تتطلبها مقاسات الزربية المطلوبة وفق ما تمليه عليه أصالته وتقاليده وطبيعة معيشته سوآءا في طريقة النسج أو في اختيار الألوان و تتمثل التركيبة الزخرفية أساسا في:

- إطار مركب من عدة أفاريز عرض الواحد أكبر من الآخر، به عنصر زخرفي مسنن تلتصق به زهرتان، وهذا عنصر مهم جدا يسمح بتميز زرابي القرقور عن غيرها.
- مدالية مركزية سداسية الشكل ممددة نوعا ما، وشكل محراب محاط بجامات.
- سجل أو أكثر يسمح بتوزيع أبعاد الزربية دون التأثير السلبي على التركيبة الزخرفية.

ولكن واجهت الرقام مشكلة عويصة تمثلت في نقل زخرفة زرابي الصلاة ذات الأبعاد الصغيرة إلى الزرابي المحلية التقليدية ذات الأبعاد الكبيرة سبعة إلى ثماني أمتار(**7-8م**)، التي تتماشى مع مساحة الغرفة التي تزينها. فلجأ الرقام إلى حلول منها مضاعفة عدد المحاريب(**شكل رقم:08**)، والزيادة من عدد السجلات (**شكل رقم: 09**)، أو إطالة المحراب(**شكل رقم :10**)،أو التكبير في العناصر الزخرفية باستعمال الصوف الخشن ومضاعفة عدد الغرز المعقودة حفاظا على تناسق وانسجام الأجزاء ولهذا جاءت بعض الزرابي شبيهة بزرابي كيرودهس (حنفي(عائشة)، الزرابي الجزائرية،ص133.)

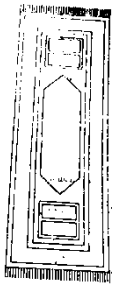

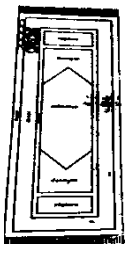

شكل رقم :(08) تعدد المحاريب شكل رقم:(09):تعدد السجلات الزخرفية شكل رقم :(10):زيادة طول المحراب

2- سلم الألوان: لقد استعمل الرقام في تلوين زرابي القرقور الألوان الطبيعية، واستغلها بطريقة جيدة وهذا ما يشهد عن خبرة كبيرة حيث جعل الرقام خلفية المحراب باللون الأحمر بدلا من الأخضر أوالأبيض كما هو الحال في الأناظول،واستعمل داخل الجامات أزهار حمراء على خلفية زرقاء كما تزين المدالية المركزية أنصاف أزهار بيضاء وعناصر نباتية أخرى خضراء وصفراء،زرقاء أو وردية على خلفية حمراء وانتقل الرقام من لون إلى آخر دون استعمال لون وسط بينهما،فانسجام وتناسق ألوان زرابي القرقور في غالب الأحيان يزيد من فخامة الزربية وأصالتها.(Metmati (D) t,p 45-)

3-نموذج من زرابي قرقور: هي عبارة عن زربية مستطيلة الشكل من الحجم الكبير مصنوعة من الصوف الناعمة ذات الخصلات الطويلة، محاكة بتقنية الغرز المعقودة (كيرودهس) بطريقة متراصة ومضغوطة، طولها 5م، وعرضها 2.5م.

تتكون من الناحية الزخرفية من إطار خارجي يحدد شكل الزربية مسبوق بحافة عريضة تتكون من عدة أشرطة ضيقة بها زخارف نباتية وهندسية متعددة .النباتية تتمثل في أزهار اللؤلؤ والقرنفل محمولة على غصن نباتي محور، وأشكال هندسية عبارة عن إطار يتوسطه خط بلون برتقالي داخل شكل مثمن لونه أزرق داكن يليه مثمن آخر يحمل نفس الزخرفة السالفة الذكر على خلفية بلون أزرق فاتح، وتتكر هذه المثمنات في كامل الشريط الخارجي الذي يزين الزربية أما الإطار الأوسط فهو محدد بشريط يتكون من ثلاث حواف ضيقة بها زخارف نباتية وهندسية ويتوسط الإطار ثلاث محاريب سداسية الشكل تتصل ببعضها البعض اتخذت شكلا مدرجا، ويتوسط كل محراب مدالية سداسية تتكون من أزهار القرنفل البيضاء تخرج من كل زهرة مدق يحمل أزهار منفتحة بلون أزرق مرة وبلون أصفر مرة أخرى، أما خلفية المحراب فهي ذات لون برتقالي.

وتتكرر نفس المداليات في بقية المحاريب، أما المساحة التي تشغل أسفل المحاريب فقد قسمت إلى عدة أشرطة الأسفل زخرف بزخرفة نباتية تتمثل في أزهار اللؤلؤ المحورة بألوان مختلفة منها الزرقاء والبنية والبرتقالية ،يليه شريط أقل حجما منه به زخارف هندسية عبارة عن أنصاف معينات ومعينات مسنة بداخلها خطين متعامدين في شكل علامة(+) بلون أزرق ،أما الشريط الأعلى والأكثر عرضا من بقية الأشرطة يحمل زخارف هندسية عبارة عن أشكال مثمنة، وفي وسطها علامة (+) بلون أبيض على خلفية برتقالية اللون، أما أعلى المحراب فشغلت المساحة المتبقية بزخارف نباتية متنوعة محورة وغير واضحة بلونين الأزرق الداكن والأزرق الفاتح ويغلب عليها اللون الوردي الفاتح والتي تكون أرضية عامة للزربية .**أنظر الصورة رقم 01**

الصورة رقم 01: زربية قرقور حجم كبير بالمتحف الوطني للآثار القديم

ثانيا: الأفاق المستقبلية لزربية القرقور: إن الآفاق المستقبلية لتطوير ميدان صناعة الزرابي لن يتأتى إلا من خلال بذل مزيد من المجهودات من طرف المسؤولين في هذا الميدان، ومن بين الإنجازات المحققة التي سعت إليها غرفة الصناعة التقليدية والحرف لولاية سطيف، إحياءاها لزربية القرقور المحلية من خلال فتحها لدورة تكوينية في هذا المجال لمدة خمسة عشرة شهرا (15) ابتداء من 13مارس 2012 إلى غاية 30 ماي 2013 بمركز الصناعة التقليدية بيلير، إذ يحتوي المركز على ورشة بمساحـــــة تقدر ب40م^{2}وعتاد يتمثل في أربع(04) مناسج حديدية، ومادة أولية تتمثل أساسا في مادة الصوف، تحت تأطير ممرنتين متقاعدتين هما على التوالي :السيدة /لحمر جميلـة والسيدة/ بورديم اليامنة، وقد أسفرت هذه العملية على تخرج إحدى عشرة (11) متكونة من أصل ستة عشر(16) أما بخصوص الأعمال المنتجة من طرف المتكونات فهي أربع (04) زرابي كبيرة الحجم (من 3إلى4 أمتار)، وثماني (08) زرابي صغيرة الحجم (1.20/0.8م)وقد شاركت غرفة الصناعة التقليدية لولاية سطيف بهذه الزرابي في الصالون الدولي السابع عشر (17) للصناعة التقليدية وكذا الصالونات الوطنية المتخصصة بكل من ولاية خنشلة، ولاية غرداية، وكذا المعارض المحلية بولاية سطيف .

هذا وتطمح غرفة الصناعة التقليدية والحرف للولاية إلى تحقيق آفاق مستقبلية لإنعاش هذا القطاع من خلال خضوع المتربصات لامتحان تطبيقي لإثبات الكفاءة عقب نهاية التكوين، وذلك على مستوى مؤسسة دار الزرابي التقليدية بشرشال ولاية تيبازة (الأسبوع الأول من شهر جوان 2013م).

-دعم المكتسبات المهنية بالنسبة للمتكونات اللائي اجتزن امتحان إثبات الكفاءة المهنية وذلك على مستوى مؤسسة دار الزرابي التقليدية بشرشال.

-إجراء دورة تدعيمية إضافية بدار الصناعة التقليدية لولاية غرداية مركز دمغ الزرابي ببوهوارة ويكون موضوع الدورة حول الصباغة الطبيعية وتثبيت الألوان للصوف، وشروط دمغ الزرابي، وكيفية التسويق.

-فتح دورة تكوينية ثانية مدتها اثني عشرة شهرا (12ش) ابتداء من شهر سبتمبر 2013م

-إنشاء وحدة إنتاج بالاعتماد على مساهمة ولاية سطيف في توفير الاعتمادات المالية وكذا تخصيص فضاء مناسبا لورشة الإنتاج.

-عملية التسويق تتم من خلال دمغ الزرابي المنتجة بمراكز الدمغ المتوفرة عبر الوطن لتكون مطابقة للمعايير الدولية للدمغ، ووضع مخطط إشهاري لوحدة الإنتاج على مستوي الولاية.

وفيما يلي نماذج من أنواع الزرابي التي تم إنجازها، والملاحظ هو أنه رغم المجهودات المبذولة إلا أنها لا ترقى إلى المستوى المطلوب من الدقة والتناسق سواء من الناحية الزخرفية حيث نلاحظ أنها بسيطة والألوان تفتقر إلى التناسق بالمقارنة مع تلك التي صنعت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وربما يرجع ذلك إلى نوعية المواد الأولية خاصة الصبغات الكيميائية. وكونها أنجزت من طرف متمرنات. **أنظر اللوحة رقم 02**

الصورة رقم 01

الصورة رقم 02

اللوحة رقم 02: نماذج من زرابي قرقور من صنع الناسجات

خاتمة: إن صناعة الزرابي ليست فقط صفوفا معقودة من الصوف فحسب، بل هي رسم وشكل ولون، وهندسة بطريقة متناسبة ومتناسقة، فالعناصر الزخرفية المجسدة على زرابي القرقور تؤكد لنا مدى الذوق الفني الرفيع الذي يتمتع به الرقام، حيث سعى أثناء زخرفته إلى احترام المميزات العامة للزخرفة الإسلامية منها: مبدأ التماثل والتقابل يظهر ذلك من خلال تكرار الأشكال الزخرفية وحبه لملأ الفراغات المحيطة بالعناصر الزخرفية التي تتخلل الأفاريز والأشرطة فجاءت الزخارف موحدة متناسقة كما عمد إلى التحوير الشديد للعناصر الزخرفية فأبعدها عن صورتها الطبيعية .

تعتبر العناصر الزخرفية من أهم ما يمكن الاهتمام به في قراءة الزربية ليس فقط من الناحية الإبداعية فحسب، وإنما من حيث أنها جزء لا يتجزأ من الرصيد الثقافي غير المجتث، ومرآة عاكسة للسان زخرفي ينبئ عن عراقة الإبداع الجماعي فلم تكن العادات والتقاليد وليدة الصدفة، وإنما هي نتاج لسلوك وقيم إنسانية تداولها الأجداد ثم الآباء للأبناء وهي حصيلة مفاهيم اجتماعية وعقائدية فالفن التقليدي أو التطبيقي متعلق بالحياة الإنسانية لأنه يرمز بذلك إلى الأزمنة الصعبة وظروفها، وهو مظهر من مظاهر الابتداع والأصالة يتضمن كل

الإنتاجات الشعبية الفنية كنشاطات مادية وفكرية مثل النسيج واللباس، التي منحت له العادات والتقاليد في بلادنا أبعادا أخرى تتعدى وظيفتها الأصلية، فالنسيج هو وثيقة تترجم المرأة من خلاله أفكارها ومشاعرها وأحاسيسها وحتى قيمها العريقة ومن هذا المنطلق أصبح نشاطا طقوسيا ذو علاقة مع القوى الخفية.

1-قائمة المصادر:

-القرآن الكريم

1-ابن منظور (محمد بن مكرم الأنصاري)، لسان العرب، ج1، دار صادر، بيروت.

2-ابن خلدون (عبد الرحمان)، مقدمة، (ت808هـ)، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1982

2-قائمة المراجع باللغة العربية:

1-أبو الفتوح (كوثر) "فن النسيج " الفن العربي الاسلامي-الفنون -، ج3، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس1997.

2-أيوب (عبد الرحمان)،"الرموز وأبعادها الحضارية في المنسوج التونسي"، سلسلة الفنون والتقاليد الشعبية، عدد 13، المعهد الوطني للتراث،2001، تونس.

3-حنفي (عائشة)، الزرابي الجزائرية في القرن 19 مجموعة المتحف الوطني للآثار، دراسة أثرية فنية، مذكرة الماجستير، معهد الآثار جامعة الجزائر 1999-2000.

4-مرزوق (محمد عبد العزيز)، الفنون الإسلامية في المغرب والأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1977.

5-عبد العزيز عائشة التهامي، النسيج في العالم الإسلامي، دار الوفاء لنيا الطباعة والنشر مصر،2003.

6-رحايلية (بدر الدين)، زربية القرقور، وزارة المؤسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية، غرفة الصناعة التقليدية والحرف لولاية سطيف، مكتب الدراسات، دار البد للنشر والاتصال، دت.

3-المراجع باللغة الفرنسية.

1- Golvin (l) Les arts populaires en Algérie (les tapis algériens).t. II, Alger, 1953

2-Metmati (D) < le tapai du Guergour –métiers et traditions->musée national des arts et traditions populires-N°0,P45.